مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد 4، (السداسي الثاني 2022م)، ص. 11- 20

عدد خاص بالملتقى الدولي

(العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري)

التفعيل الحضاري للعلوم الإسلامية في الواقع المعاصر: وذكر أهم الشروط الضرورية

Civilizational Activation of Islamic Sciences in Contemporary Reality: mention the most important conditions necessary

د. محمد هندو [*] **(مدير الملتقى)**

جامعة محند آكلي ولحاج –البويرة، (الجزائر).

medhindou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/05 تاريخ القبول: 2022/10/01 تاريخ النشر: 2022/11/30

ملخص:

تقدم هذه الورقة تعريفا بالملتقى الدولي الثاني الذي نظمته مؤسسة الأصالة للدراسات والاستشارات الإسلامية بالشراكة مع مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، ومخبر الشريعة، ومخبر مناهج البحث، حول موضوع: العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري، وذلك بوصف إشكاليته، وأهدافه، ومحاوره، معرجة على ذكر أهم الشروط الضرورية لهذا التفعيل، والنتائج والتوصيات التي انتهى إليها الملتقى.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإسلامية، الرصيد التاريخي، التفعيل الحضاري، الشروط الضرورية.

[*] مدير الملتقى الدولي الثاني الذي نظمته مؤسسة الأصالة للدراسات والاستشارات الإسلامية بالشراكة مع مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، ومخبر الشريعة، ومخبر مناهج البحث، حول موضوع: العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري

Abstract:

This paper presents an introduction to the second international forum organized by the Al-Asala Foundation for Islamic Studies and Consultations in partnership with the Research Center for Islamic Sciences and Civilization in Laghouat, the Sharia laboratory, and the Research Methods laboratory, on the topic: Islamic sciences from historical balance to civilized activation, by describing its problems, objectives, and themes, referring to the most important conditions necessary for this activation, and the results and recommendations reached by the forum.

Keywords: Islamic sciences, historical balance, civilized activation, necessary conditions.

مقدمة:

بالاعتماد على أدوات التحليل التاريخي والنفسي والاجتماعي؛ قدّم الأستاذ الكبير والمفكّر القدير مالك بن نبي -رحمه الله- تفسيراً لنشوء الحضارة، من أهم مرتكزاته «الفكرة الدينية»، فاعتبر أنها ذات الأثر الأبرز في تكوين الحضارة، واستمرارها، لأنها تشحذ المجتمع بالهدف والغاية، وتجعل الحياة ذات دلالة ومعنى، فضلاً عن كونها تروّض الغرائز، وتمنح العقل معالم هادية للتفكير والتدبير.

وهذا الذي نظّر له الأستاذ مالك رحمه الله؛ تمثّل في قصة الحضارة الإسلامية بأجلى التمثّلات وأوضحها، فكان الإسلام بما حمله من أفكار وغايات حيّة، ومستحيية؛ الإضافة النوعية التي جعلت الإنسان السابق على الحضارة (الإنسان الفطري) إنسانًا متحضّراً، وجعلت تلك القبائل العربية البدوية المشتّتة أمّةً واحدة، ثم حضارة رائدة.

وإذا كان كذلك؛ فإنّ العلوم الإسلامية هي المنظومة المعرفية التي دارت عليها الفكرة الدّينية الإسلامية، فهذه العلوم هي التي استكشفت معاني الإسلام ومقاصده، ثم كشفت عنها، وفسّرتها، وقرّبتها. وكانت منظومةً فريدةً من طرازها، متميّزة عن كلّ مثال سابق أو نموذج لاحق، بخصائص استمدادية، ومنهجية، وغائية متفردة، جعلتها ولاّدةً ومنتجةً للنظريات والعمليات المثلى في معظم المجالات الحيوية.

وكان كلّما أصاب الأمة والحضارة شيءٌ من الوهن والاختلال؛ عمدت إلى إحياء علوم الدّين، أي منظومة العلوم والمعارف الإسلامية، بحيث تُبعث من الرقود، ويُطرد عنها البرود والجمود، وتصفّى ممّا عَلِق وعُلّق بها من أغلاث الموت والإماتة، إماتة الإرادة الحضارية، إماتة الحركة الحضارية، إماتة التجديد الحضاري، إماتة التدافع الحضاري، حتى يصل الأمر إلى إماتة الذات الحضارية كلية. فكان استحياء الحضارة من جديد دائرًا كلّ مرّة على استحياء علوم الدّين من جديد.

في الضفة المقابلة للتحضّر الإسلامي، وبينما كان المسلمون يعيشون ويؤسّسون لعصر الحكمة والأنوار، وينشرونه في الأصقاع التي بلغتها دعوتهم؛ كانت تلك الضفة تعيش عصر الظلمات، وكان الدّين والتديّن عنصراً مميتاً، ومخدّراً، أو هكذا زعموا، فهي مسألة للتحقيق، وتحتمل الكذب على التاريخ، لتسويغ القطيعة التي أُحدِثَت مع كلّ ما هو ديني، وإلاهي، وروحي، وغيبي، ونبوي. فقامت مدنية غربية وأخرى تغريبية على عقيدة وفلسفة قديمة جديدة، ألا وهي: «عبادة العِجْل»، الرامزة إلى إنكار الألوهية الحقة، والاستعاضة عنها بتأليه المادة، وتعبيد الإنسان لغرائزة الجامحة، بلا قيد أو ضابط.

ولم يكن لهذه العقيدة والفلسفة أن تقوم وتستديم إلاّ بالعولمة والتعميم، مع طرد الدّين القويم، والتديّن الواعي والرصين، ومحو ما يمتّ إليه بعلة أو سبب، ولم يجد نابلُهم خيرًا من منظومة العلوم الإسلامية مرمًى لغايته الهدّامة.

ولئن كان ذلك سياقا من خارج؛ فالسياقات الذاتية، والداخلية، والبنيوية، وشروط البيئة المحيطة؛ ضليعةٌ بشكل مباشر وحاسم جدّا، فيما آلت إليه منظومة العلوم الإسلامية من عدم الفاعلية الحضارية، وهذا حكم نستجيز السبق إلى تقريره، لنعدّه إشكالية هذا المؤتمر، التي نقترح الوقوف عليها بالتشخيص والتحليل المتشعّب، والمتعدّد المناحي، بغية الخلوص إلى اقتراح رؤًى جديدة، وأهداف جديدة، ومضامين جديدة، ومناهج وآليات جديدة، تستعيد بها العلوم الإسلامية قدرتها على الفاعلية الحضارية.

الإشكالية:

نلخص هذه الإشكالية في سؤال جوهري، وهو:

كيف نمكّن العلوم الإسلامية بمفهومها الأكاديمي التخصصي، من مواجهة التحديات المعاصرة، انطلاقا من الرصيد التاريخي الكبير، لتسهم في تحقيق الفعالية الحضارية مجددا؟

أمّا الإشكالات الفرعية فهي التي تعبر عنها الأهداف التالية:

1. تعريف العلوم الإسلامية وبيان نشأتها، وأنواعها، واستمدادها، وتطورها، ومجالات تأثيرها.
2. استعراض وتحليل الدور التاريخي للعلوم الإسلامية في بناء المعرفة الدينية التي أسهمت في تحقيق الريادة.
3. الوقوف على الواقع الرّاهن للعلوم الإسلامية تشخيصا وتحليلا لأهم الإنجازات، والتّحديات، مع التركيز على التجربة الجزائرية منذ الاستقلال إلى اليوم.
4. وضع معالم وسبل الارتقاء بالعلوم الإسلامية، لتفعيل دورها في تحقيق نهضة علمية واعدة، على مستوى الرؤى والتصورات، وعلى مستوى الأساليب والمنهجيات والآليات «DIDACTICS».
5. اقتراح برامج ومشاريع وخطط عملية قابلة للإنجاز والتفعيل، على أصحاب المبادرات وصنّاع القرار، خاصة في جانبين مهمّين: تدريس العلوم الإسلامية في مستوى التعليم العالي، وكذا مجالات البحث العلمي الجامعي التّكويني، وكذا التابع لمراكز البحث المستقلّ عن الجامعة.

من أجل الإجابة على هذه الإشكالات، والأهداف؛ نظمت مؤسسة الأصالة للدراسات والاستشارات الإسلامية، بالشراكة مع مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، ومخبر الشريعة، ومخبر مناهج البحث، ملتقى دوليا؛ تمحور حول المحاور الآتية:

المحور الأول: التعريف بالعلوم الإسلامية.

1. تقاسيم العلوم عند المتقدّمين والتعريف بعلوم الوحي.
2. أنواع العلوم الإسلامية.
3. نشأة العلوم الإسلامية، وميزاتها.

المحور الثاني: الدور التاريخي للعلوم الإسلامية في بناء المعرفة الدينية التي أسهمت في تحقيق الريادة.

1. مجالات تأثير العلوم الإسلامية في التاريخ الإسلامي.
2. أثر العلوم الإسلامية في بناء حضارة المسلمين.

المحور الثالث: العلوم الإسلامية في الواقع المعاصر: تشخيص وتحليل.

1. تشخيص الواقع.

أ. واقع التعلّم والتعليم المعاصر للعلوم الإسلامية:

ب. بين مقاصد العلوم وتاريخ العلوم.

ج. واقع البحث العلمي، والتأليف.

2. تحليل الأسباب:

أ. التحديات الخارجية.

ب. التحديات الداخلية.

المحور الرابع: تفعيل العلوم الإسلامية للخروج من الأزمة المعرفية والمأزق الحضاري.

1. سبل الارتقاء بطرق تعلّم وتعليم العلوم الإسلامية.
2. تفعيل العلوم الإسلامية في مجالات الحياة المعاصرة.
3. دراسة وتقييم الجهود الحديثة في القرنين الماضيين، التنظيرية والتطبيقية، الفردية والجماعيّة، لتجديد وتفعيل العلوم الإسلامية.
4. عرض تجارب ونماذج وإنجازات رائدة في تفعيل العلوم الإسلامية: وصف وتعريف.

وقد أسهمت في الملتقى بمداخلة وجيزة؛ حول أهم الشروط الضرورية لتفعيل العلوم الإسلامية في الواقع المعاصر، وهي تقبل البسط والتوضيح أكثر، إلا أنني ألخصها في الآتي:

أولا: الشرط التاريخي.

وأعني به؛ استيعاب تراث العلوم الإسلامية كما هو في التاريخ، وكما تفاعل مع الواقع في ذلكم التاريخ، فمن يقينيات البحث أنّ القفز على هذا التراث كأنّه لم يكن، واعتماد انطلاقات صفرية تهمل هذا الرصيد الطويل والكبير، أو تدخل معه في مشاكسات وصدامات هدفها إسقاط مرجعيته رأسًا، أو التقليل من قيمتها، هذا لا يزيدنا إلا انتكاسًا وتضييعًا لمزيد من العمر الحضاري من أجل العودة لنقطة الاستئناف.

وإذا كنا ندعو لاستيعاب التراث وقراءته القراءة التاريخية المتأنية؛ فإنّنا ندعو أيضًا إلى القراءة الثانية التي تكون بعين الواقع ومقتضياته، والمستقبل واستشرافاته، كما سنبيّن في الشرط الواقعي.

ثانيا: الشرط الثقافي.

والمقصود به التخلص من عقدة ثقافة الغالب، ومن القابلية للاستعمار الثقافي، والوقوف على نقطة العدل والتوازن في الاستفادة من تجارب ومعارف الإنسانية التي اقتضتها التجربة، والعقول الصحيحة، والفِطر القويمة، لكن مع النَّخْل والتمحيص، فنقبل المفيد، ونطرح الضارّ المشين.

فإن الشرط الثقافي الذي يعيد الثقة (المفقودة نسبيا) في المقوّمات العقدية والفلسفية والفكرية والتشريعية والأخلاقية التي تتضمّنها منظومة العلوم الإسلامية؛ شرطٌ حاسمٌ في إعادة بناء الذات الحضارية.

ثالثا: الشرط المنهجي.

ويقتضي إعادة النظر في مناهج تعليم العلوم الإسلامية، ومنهجية وطرق وأساليب تخريج العلماء، فإنّ إصلاح التعليم قضية محورية وصميمة في البعث الحضاري للأمة. والمقصود بإعادة النظر: توليد مناهج ومنهجيات جديدة، تجمع بين عناصر القوة التي تتوفّر عليها الطرائق التراثية في التعليم، كالحفظ، والتفرغ، والموسوعية، والجمع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية... وبين مناهج معاصرة طوّرت الكثير من أساليب التعليم التي يتعيّن الاستفادة منها.

أمّا الوضع القائم في تعليم العلوم الإسلامية؛ فهو آيلٌ إلى إفراغها من محتواها، وإلى العجز التام عن تخريج العلماء القائمين بهذه العلوم حق القيام.

رابعا: الشرط التكاملي.

وذلك من خلال إنتاج نظريات معرفية تكاملية بين العلوم الإسلامية والعلوم المنسجمة معها فلسفةً وفكراً، فإنّ ما يسمّيه الفقهاء والأصوليون (تحقيق المناط)، وهو المقدمة الشرطية الثانية لكل حكم ينسب للشريعة؛ بابٌ واسعٌ جدّا من الاستفادة من المعارف والخبرات النظرية والعملية، في معرفة الأمور على ما هي عليه، ولا يتأتّى ذلك على وجهه في الواقع المعقد إلا من خلال تكامل العلوم.

خامسا: الشرط الواقعي.

العلوم بنت الأصول العقدية والفكرية من جهة، ولكنها بنت الواقع من جهة أخرى، إذ تتغيّا إصلاحه والارتقاء به إلى تحقيق غايات الاستخلاف في الأرض، ولكن وفقاً لما يتيحه الواقع من وسائل وإمكانات، في مقابل المخاطر والإكراهات، ومن ثم موازنة المصالح والمفاسد.

وفقه الواقع اليوم؛ لم يعدّ مجرد استشارة طبية يقدّمها طبيبٌ في فتوى صيام وإفطار، بل أصبح الواقع بتشابكاته وتعقيداته خاضعًا لعلوم متراكمة من الخبرات في شتّى الميادين والمجالات، ما يجعل المعرفة الواقعية ركناً ركيناً، وجزءًا أصيلاً لا ينبغي أن يتجزأ عن منظومة العلوم الإسلامية، ولا بدّ من إدراج هذه المعرفة في مناهج التكوين والتعليم، حتى يكون العالم بمنظومة العلوم الإسلامية، أو بعض فروعها؛ متصلا بالواقع، غير منعزل عن تعقيداته، وتكون آراؤه وأبحاثه مجيبة على الإشكالات الحقيقة، ولا يعرّض الشّريعة للاستخفاف بآراء محلّقة في خيال غير قابل للتنزيل.

سادسا: الشرط السياسي:

استجابة التدبير السّياسي للشروط سابقة الذكر، وتصالحه مع العمق الثقافي والديني لمن يدبّر شأنهم، أي الحاكم المسلم مع محكوميه المسلمين، هو بدوره أحد الشروط الحيوية والحاسمة في إعادة الفاعلية لمنظومة العلوم الإسلامية، وبدونه سيكون كلامنا جميلاً وعاقلاً وحكيماً، لكن مع وقف التنفيذ، وكلّ كلام لا يجد سبيلاً إلى الإنجاز والتطبيق؛ فهو كالرواية الخيالية أو الرؤية الجميلة في المنام، التي يفيق صاحبها على محض الفأل إن كانت رؤيته ممّا يسرّ، لا أكثر، ولهذا قال علماؤنا: (الملك والدّين توأمان، فالدّين أصل، والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع) [الغزالي، الإحياء].

كما توصل الملتقى إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كالآتي:

أولا: النتائج:

1. المقصود بالعلوم الإسلامية: العلوم المتفرعة عن الوحيين: الكتاب والسنة، وما يتعلق بهما من معارف مستمدة منهما، أو تعين على فهمهما.
2. العلوم الكونية والإنسانية رافد أساسي للعلوم الإسلامية، لما ينبني عليها من حسن فهم النصوص الشرعية وسلامة تطبيقها.

3. العلوم الإسلامية هي منظومة في غاية المنهجية، وقد ساهمت عبر التاريخ في مختلف الميادين الحضارية الحيوية التي كانت من أبرز روافد الحضارة الإنسانية المعاصرة.

4. تفعيل العلوم الإسلامية من جديد؛ يتوقف على استيعابها أولا، وعلى التخلص من عقدة المغلوبية الثقافية، إذ لا يمكن تفعيل منظومة نجهلها، ونجهل عناصر قوتها، ومنهجيتها.

5. أبرز الملتقى بعض الإسهامات التي قدّمها أعلام جزائريون في العلوم الكونية والإنسانية، خدمةً للشريعة الإسلامية، كالإمام الأخضري، وابن زكري، والعقباني، وجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والزوايا، والمدارس القرآنية.

6. يؤكد الملتقى على الدور البارز والمحوري المنوط بالأستاذ، من حيث تنفيذ البرامج، وتحقيق غاياتها؛ لأنّ الكفاءات لا تتحقق بذاتها، وإنما تتحول إلى حقائق في نفوس الطلاب، وإلى قيم تتحرك بهم على الأرض، تبعا لما يبذله الأستاذ من جهد، وما يبتكر من وسائل تعليمية.

7. ضرورة تفعيل دور البحث العلمي في العلوم الإسلامية لحل المشكلات في جميع المجالات، بتكوين الباحث المتمكن علما وأمانة منذ المراحل الأولى للتعليم وصولا إلى الجامعة.

8. من الواجبات العاجلة إعادة النظر في طرق ومناهج تعليم العلوم الإسلامية، في الجامعات والزوايا والمساجد والمعاهد، والنظر في مخرجات مراكز ومخابر البحث، ومخرجات التعليم عامة، وضرورة النقد للواقع الحالي، بغية الإصلاح والتطوير، بحيث نجمع بين عناصر القوة في المناهج التراثية، وعناصر القوة في المناهج المعاصرة.

9. إهمال التكامل المعرفي بين العلوم من أسباب أزمة أمتنا وتخلفها، لذا وجب النظر إلى هذه العلوم وفق قاعدة الفروض الكفائية.

10. الفعل الحضاري لا يصنعه العلم النظري المجرد، بل يتعين إيجاد سبل التأثير في الذات الإنسانية والأوساط الاجتماعية، لذلك فمن أبرز شروط التفعيل الإرادة التدبيرية السياسية، التي يجب أن تنسجم مع تطلّعات المجتمع العلمي والمعرفي في هذا المجال.

ثانيا: التوصيات.

1. إعادة صياغة وتحيين مناهج تدريس العلوم الإسلامية، وطرائقها في مختلف الأطوار التعليمية، وفي المدارس والزوايا القرآنية، بما يخدم المجتمع المسلم المعاصر.

2. وضع استراتيجية تربوية لتعميم تدريس العلوم الإسلامية في جميع التخصّصات الجامعية، في شكل ثقافة إسلامية، لتدعيم التكوين العام لطلاب تلك التخصصات، من أجل تأطير جميع أنظمة المجتمع، ومنها: النظام التربوي، والثقافي، والاقتصادي ... إلخ .

3. كثير من المداخلات التي تم إلقاؤها في الملتقى تحتاج إلى ندوات وجلسات فكرية متخصصة، لذلك ندعو مؤسسة الأصالة إلى برمجة ندوات دورية لمزيد من التفعيل العملي لما تم طرحه من أفكار في هذه المداخلات القيمة، باعتبارها مداخل ومشاريع لأعمال بحثية مستقبلية .

4. تثبيت الملتقى الدولي في موعده الحالي في طبعته القادمة، مع اختيار مجال محدد من مجالات العلوم الإسلامية، بغية مزيد من التخطيط والضبط والفعالية لأعمال الملتقى، مع التوصية بطبع أعمال هذا الملتقى بعد مراجعتها في نسختها النهائية.

قائمة المصادروالمراجع:

من مراجع الموضوع:

1. أليس الصبح بقريب، الطاهر بن عاشور.
2. شروط النهضة، مالك بن نبي.
3. سؤال النهضة والحاجة إلى منظور السننية الشاملة، الطيب برغوث.
4. منهجية التعامل مع العلوم الشرعية في ظل المتغيرات المعاصرة، عماد الدين خليل.
5. مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية، قطب سانو.
6. التفكير الإبداعي في المناهج الدراسية، فريدة زوزو.
7. تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن.